

حي الحسين

قبل أن يتسع الميدان ،

كانت هذه الحارة تمتد إلى (خان الخليلى)

وأنا أعبرها كل صباح ،

مثقلَ المظهر بمخلاة الدفاترُ

وعلى جفنى نعاس متيق ..

يتدأشى كلما طافت على العين المناظرُ

(قدرة الفول) على جنب الطريقُ

وعلى الآخر (صاجات المفطيرُ)

وهنا عند المزّاقّ ..

(حمُص الشام) ، وقبل المنحنى ..

تبدو (سلاطين الزبادى)

كان قرشى يشتري من كل هذا ما أريدُ

وأنا طفل سعيدُ !

* □ *

فى فناء المدرسةُ

يطلب المناظر أن ندعو لشوكار - الأميرةُ

فلقد أعطتُ كثيراً ، ولكم طابتْ شمائلُ !

وغدا تأتي لتكريم الأوائِلُ

..

هل علمتم يا صغاري ..

إنها أوصت لكل المناجحين

بكساء ، وحذاء .. وهدايا

..

كنتُ أدعو من فؤادي للأميرهُ

وأنا طفل صغير!

..

ينتهي اليومُ الدراسي ..

فأهودُ

من طريق متعرجٍ

حيث يُقعى فى الزوايا منه صُناعُ المسابحِ

وعقود الكهرمانِ

ويفوح الجوُّ بالعطر ،

وأصناف البخور الأسيوية

وعلى الأرفف عيدان المسواك العربيه

وإذا ما دخل الشارعَ سائحُ

جذبتَه ألف كف،

تتقن المبيعَ بكلِّ الألسنه

ثم تمتدّ إلى (المشيشة) حتى تتوهج..

وتغنّى من جديد (للتساهيل)،

وتشدو بالمدائح!

[]

كان هذا الشارعُ الضيقُ سوقاً للأعاجيبِ،

ترى فيه المبرقعُ

وقباقيبَ الموضوعِ الخشبيهِ

وبه تسمع دقاتِ دفوفٍ،

وزغاريدَ طهورٍ،

وابتهالاتٍ مراضعٍ؛

[]

وعلى (الدُّنَّة) يستلقى مجاذيبُ الحُسَيْنِ

كحَلِّوا أعينهم،

حَنِّوا لحاهمُ ،

عَلِّقُوا شَتَى النِّياشِينِ ،

وَرَا حُوا يَضْرِبُونَ النَّاسَ - فَي وَجْدُ-

بِأَطْرَافِ الْمَقَارِعِ !

* □ *

كنت في إيقاع هذا العالم الساحرِ

أُنسى كل شَيِّ

عودتي ، وقت غدائي ،

صرخةَ الدَّوالِدِ في وجهي ،

وإهدادِ الدُّروسِ !

وأمام البائع القادم من عهد المماليك البهى

كنت أطفئ لفحة الشمس ..

بكوب المعرقسوس!

* □ *

قبل أن يتسع الميدانُ،

كانت هذه الحارةُ تمتدُّ إلى (خان الخليلي)

وهي الآن .. طريق متسع

يعبر السائرُ فيه ،

دون أن يعرف ما كانَ ، وكانَ

وأنا وحدي الذى أحمل تاريخ المكان!

* □ *

عندما حدثت في بعض المحلات الجديدة

انبرى بائع فيديو قائلاً

- ماذا تريد؟

قلت :

- أبيع عبقّ الأمس ، ونَبْشَ الذكريات

قال :

- لم تأت إلى الآن ..

فهل أختارُ لك ؟!

قلتُ :

- أين العودُ والعنبرُ ؟

أين المسكُ ؟

أصناف المباحرُ ؟

وعقودُ الكهرمان؟

قطبُ الوجه ، ولم ينظر إلى

وكأنى قادم للتو من عهد المماليك الغبي؟
